

الإمام الحسين بن علي (ع) .. مكانة ومنزلة



منزلة الحسين (ع)

لأبي عبد الله الحسين (ع) ، مكانة عظيمة ، لا يرقى إليها سوى جدّه وأبيه وأُمّه وأخيه السبط والأئمّة من ولده عليهم جميعاً أفضل الصلّاة والسلام ، ولو بذل المؤرّخ وسُعاً ، لتتبّع ما يحظى به الحسين (ع) ، من مقام رفيع ، بلغ القمّة السامقة في دنيا المسلمين ، لخرج بسفر جليل في هذا المضمار ، وبقدر ما تسمح به المحاولة التي بين أيدينا سنشير إلى بعض المنطلقات الأساسيّة التي تبرز مكانة الحسين (ع) في معيار الشريعة الإلهيّة .

فالقرآن الكريم – الوثيقة الإلهيّة العظمى – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يعرب في العديد من آياته الكريمة عن الشوط البعيد الذي قطعه الحسين (ع) من درجات الرفعة عند الله تعالى ، فهو واحد من أهل البيت الذين نزل في حقّهم قوله تعالى :

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً). (الاحزاب/33)

ومن الذين ذكروا في آية المباهلة :

(فَمَنْ دَعَاكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ

أَبْنَاءَ نَزَا وَأَبْنَاءَ كُمْ ° وَنِسَاءَ نَزَا وَنِسَاءَ كُمْ ° وَأَزْوَاجَنَا وَأَزْوَاجَكُمْ ° ثُمَّ
نَبَيْتَهُمْ فَتَجْعَلُ لِعَنْدَةِ □□ عِلَى الْكَادِرِينَ) . (2)
(آل عمران / 61)

وفي آية المودّة :

(قُلْ لَا أَسْأَلُ لَكُمْ عِلَايَةً إِلَّا جِرَاءَ إِِلَاءِ الْمَوَدَّةِ فِي الْقُرْبَى) . (3) (الشورى /
23)

فمن خلال هذه الايات الكريمة تتجلى مكانة الحسين(ع) وأهل البيت(ع) ومنزلتهم السامية عند □□
تعالى، إلاّ أنّهُ من نافلة القول أنّ نشير إلى بعض النصوص التي وردت عن رسول الله(ص) بشأن
الحسين(ع) لإبراز المكانة الرفيعة التي يمثلها في دنيا الرسالة والامّة :

1 - في صحيح الترمذي عن يعلى بن مرة، قال : قال رسول □□ (ص) :

«حسينٌ منِّي وأنا من حسين، أحبُّ □□ من أحبِّ حسيناً، حسينٌ سبطٌ من الاسباط»(4).

2 - عن سلمان الفارسي ، قال : سمعت رسول □□ (ص) وهو يقول:

«الحسنُ والحسينُ إِبْنَايَ مَنْ أَحَبَّهُمَا أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي أَحَبَّهُ □□ وَمَنْ أَحَبَّهُ □□
أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا أَبْغَضَنِي وَمَنْ أَبْغَضَنِي أَبْغَضَهُ □□ وَمَنْ أَبْغَضَهُ □□
أَدْخَلَهُ النَّارَ عَلَى وَجْهِهِ»(5).

3 - عن البراء بن عازب قال :

« رأيت رسول □□ (ص) حاملاً الحسينَ بن عليٍّ على عاتقيه وهو يقول : (اللّهمّ إنّي أُرِيدُهُ
فَأَحْبِبَّهُ) » (6).

4 - وعن عبداً بن مسعود قال:

« إنّ رسول □□ قال في الحسن والحسين (ع) : (هذان ابناي ، فَمَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ
أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي) » .

5 - وعن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه (ع) : أنّ رسول □□ (ص) أخذ بيد الحسن والحسين وقال :

« مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحْبَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (7) .

ملامح شخصية الامام الحسين (عليه السلام)

1 - علاقته با □□ تعالى:

بمقدورنا أن نستجلي عمق علاقة الحسين (ع) بربّه الأعلى سبحانه، إذا أخذنا بنظر الاعتبار كونه قد
تعاهده الرسول (ص) بالإنشاء الروحي والفكري جنباً إلى جنب مع عليّ والزّهراء (ع) ، لتحديد إطار
شخصيته ومسارها في الحياة.

فقد قيل له يوماً ما أعظمَ خوفِكَ مِنْ رَبِّكَ ؟ فقال: «لا يأمنُ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ

خافَ اِخْفَافَ فِي الدُّنْيَا».

وكان (ع) إذا توضأً تغيّر لون وجهه، وارتعدت مفاصله، فقليل له في ذلك، فقال: «حقٌّ لِمَنْ وَقَفَ بين يدي الملكِ الجبارِ أنْ يَصْفَرَّ لَوْنُهُ وتَرْتَعِدَ مَفَاصِلُهُ» (8).

في ليلة العاشر من محرّم الحرام ، طلبَ الإمام الحسين (ع) من الجيش الأموي أن يمهلَه تلك العشيّة قائلاً: «إِنَّمَا نُرِيدُ أَنْ نُصَلِّيَ لِرَبِّنَا اللَّيْلَةَ وَنَسْتَغْفِرَهُ ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ نَبِيَّ الْحَرَبِ الصَّلَاةَ لَهُ وَتِلَاوَةَ كِتَابِهِ وَكثيرةَ الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ».

وفي أَرهَب الساعات وأخرجها ، تحل صلاة الظهر في نهار العاشر من المحرّم ، فيطلب الحسينُ من المعتدين أن يوقفوا عنهم الزحف حتّى يُصَلِّوا ۞ تعالى. إنّ هذا السلوك يعكس لنا عمق العلاقة التي تربط الحسين باِخْفَافَ سبحانه ، ومدى حُبِّ الحسين ۞ تبارك وتعالى.

وكان يدعو ربّه تعالى بهذا الدُّعَاءِ :

«اللَّهُمَّ ارزقني الرّغبةَ في الآخرةِ حتّى أعرفَ صدقَ ذلكَ في قلبي بالزّهادةِ منّي في دنياي، اللَّهُمَّ ارزقني بصرًا في أمرِ الآخرةِ حتّى أطلبَ الحسناتِ شوقًا وأفرّ من السيئاتِ خوفاً يا ربّ» (9).

هذه بعض مصاديق العلاقة الروحيّة بين الحسين وربّه سبحانه وتعالى.

2 - علاقته بالناس:

حين نتطلّع إلى الجانب الخلقى من شخصية الإمام الحسين (ع) نلمس مدى تفاعله مع الأُمَّة بمختلف قطاعاتها باعتباره قدوتها المثلى، ولا نقصد بحال أن الحسين (ع) يباين سواه من الائمة (ع) في طبيعة التفاعل مع الجماهير، فإنّ لون التفاعل مع الأُمَّة وطبيعته بالنسبة للأئمة (ع) تحدّدها رسالة اِخْفَافَ تعالى والتي يمثّل الائمة صورتها التطبيقية في دنيا الواقع.

ولكنّنا حين نشير إلى الجانب الاخلاقي من شخصية الإمام الحسين (ع)، فإنّنا نطرح بعض المصاديق لذلك التفاعل السامي المشرق:

أ - تواضعه (عليه السلام):

إِنَّهُ مَرَّ بِمَسَاكِينٍ وَهُمْ يَأْكُلُونَ كِسْرًا لَهُمْ عَلَى كِسَاءٍ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، فَدَعَاهُ إِلَى طَعَامِهِمْ ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ ، وَقَالَ:

« (لَوْ أَنَّ نَبِيَّ صَدَقَهُ لَأَكَلْتُمْ مَعَكُمْ) ثُمَّ قَالَ (ع) : (قَوْمُوا إِلَى مَنْزِلِي) ، فَأَطْعَمَهُمْ وَكَسَاهُمْ وَأَمَرَ لَهُمْ بِدَرَاهِمٍ » (10) .

وبمقدرونا أن نكتشف مدى تواضعه وعمقه من خلال هذا المصداق العملي الذي ذكرناه، إذا أعدنا إلى الازهان ما يتمتّع به الحسين (ع) من مستوى قيادي في الأُمَّة، فهو مرجعها الفكري والقيادي، وإمامها المنصوص عليه من اِخْفَافَ ورسوله (ص).

ومكانته الاجتماعية لا يرقى إليها رجل في عصره قط، حتّى أنّ ابن عباس الصحابي الجليل - وهو أسنّ منه - كان يمسك له الركاب حتّى يركب فرسه إجلالاً له وإعظاماً (11). ولعظم منزلته كان الناس إذا التقوا به أثناء مسيره إلى الحج ماشياً، ينزلون عن ركايبهم إجلالاً طالما هو يسير.

أقول إنّ ادراكنا لمكانة الحسين (ع) الاجتماعية في دنيا المسلمين، يجعلنا ندرك مدى تواضعه، إذا ألفيناه يتعامل مع أبسط الناس في المجتمع بذلك السلوك الإنساني الرفيع. ومن المصاديق العملية على تواضعه (ع) كذلك، أنّّه مرّ على مساكين يأكلون في الصفّة، فدعوه للطعام، فنزل (ع) وقال:

« (إنّ لا يحبّ المستكبرين) ثمّ تناول معهم الطعام وقال لهم: (قد أجبتكم فأجيوني)، قالوا: نعم، فمضى بهم إلى منزله، وقال للرباب: (اخرجي ما كنت تدخّرين) « (12) . وممّا يدل على مدى تفاعله الإيجابي مع الناس، ورعايته لشؤون الأُمّة ما رواه شعيب بن عبدالرحمان، قال:

« وُجِدَ على ظهر الحسين بن عليّ يوم الطفّ أثر، فسألوا زين العابدين عن ذلك. فقال: (هذا ممّا كان ينقلُ الجرابَ على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين) « (13). الأمر الذي يشير إلى تواضع منقطع النظير، واهتمام بشؤون الأُمّة ووعي للمسؤولية وشعور عميق بها لا نظير له.

ب - عفوه عن المسيء:

ارتكب غلام له ما يستوجب التأديب، فأراد تأديبه، فقال له الغلام: « يا مولاي: (وَكَاطَمِينَ الْغَيْظَ)، قال الإمام: (خَلِّوا عَنْهُ). قال الغلام: (وَإِلْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)، فقال الإمام: (قد عفوتُ عنك). قال: يا مولاي (وَإِذَا يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) قال (ع): (وَأَنْتَ حَرٌّ لَوَجْهِ أَ، لَكَ ضَعْفٌ مَا كُنْتُ أُعْطِيكَ) « (14) . هذه نطفة يسيرة استلهمنا من خلالها الجانب الخلقى في شخصيته (ع).